٦ ـ حسن البنـــا

الرجل القرآنى

بقلم روبير جاكسون

للاستاذ أنور الجندى

«يروى روبير جاكسون فى هذا الفصل قصة لقائه مع الشهيد البنا»

فى فبراير سنة ١٩٤٦، كنت فى زيارة للقاهرة .. وقد رأيت أن أقابل الرجل الذى يتبعه نصف مليون شخص، وكتبت فى النيويورك كرونيكل بالنص:

«زرت هذا الأسبوع رجلا قد يصبح من أبرز الرجال فى التاريخ المعاصر، وقد يخفى اسمه إذا كانت الحوادث أكبر منه، ذلك هو الشيخ حسن البنا زعيم الإخوان. وقد صار الإخوان عاملا مهما فى السياسة المصرية، ويقال إن جملة الإخوان ٨٠ /. من لجان العمال والطلبة الذين كانوا فى طليعة الحوادث الصاخبة الأخيرة فى مصر. ويقول الأستاذ البنا: إن حركة الإخوان فوق الأحزاب، وسبيلها هو العودة إلى القرآن، وغايتها جمع كلمة المسلمين فى كل أرجاء الدنيا

هذا ما كتبته منذ خمس سنوات، وقد صدقتنى الأحداث فيما ذهبت إليه، فقد ذهب الرجل مبكرا.. وكان أمل الشرق فى صراعه مع المستعمر، وأنا أفهم جيدا أن الشرق يطمح إلى مصلح يضم صفوفه، ويرد له كيانه، وطالما رجا الكتاب والمفكرون الغربيون اقتراب اليوم الذى يتحقق فيه هذا الأمل

غير أنه فى اليوم الذى بات فيه مثل هذا الأمل قاب قوسين أو أدنى، انتهت حياة الرجل على وضع غير مألوف.. وبطريقة شاذة!

هكذا الشرق لا يستطيع أن يحتفظ طويلا بالكنز الذى يقع فى يده..

.. لقد لفت هذا الرجل نظرى بصورته الفذة، عندما كنت أزور القاهرة بعد أن التقيت بطائفة كبرى من زعماء مصر ورؤساء الأحزاب فيها

كان هذا الرجل خلاب المظهر، دقيق العبارة، بالرغم من أنه لا يعرف لغة أجنبية. لقد حاول أتباعه الذين كانوا يترجمون بينى وبينه أن يصوروا لى أهداف هذه الدعوة؛ وأفاضوا فى الحديث على صورة لم تقنعنى

وظل الرجل صامتا، حتى إذا بدت له الحيرة فى وجهى، قال لهم قولوا له شيئا واحدا: هل قرأت عن محمد؟ قلت نعم. قال: هل عرفت ما دعا إليه وصنعه؟ قلت نعم. قال هذا هو ما نريده

وكان فى هذه الكلمات القليلة ما أغنانى عن الكثير مما حاول بعض أنصار البنا أن يقولوه لى

.. لفت نظرى إلى هذا الرجل سمته البسيط، ومظاهره العادى، وثقته التى لا حد لها بنفسه، وإيمانه العجيب بفكرته

كنت أتوقع أن يحيى اليوم الذى يسيطر فيه هذا الرجل على الزعامة الشعبية، لا فى مصر وحدها، بل فى الشرق كله

وسافرت من مصر بعد أن حصلت على تقارير وافية ضافية عن الرجل وتاريخه، وأهدافه وحياته، وقد قرأتها جميعا وأخذت أقارن بينه وبين جمال الدين الأفغانى، ومحمد عبده، ومحمد أحمد المهدى، والسيد السنوسى، ومحمد بن عبد الوهاب، فوصل بى البحث إلى أن الرجل قد أفاد من تجارب هؤلاء جميعا، وأخذ خير ما عندهم، وأمكنه أن يتفادى ما وقعوا فيه من أخطاء. ومن أمثلة ذلك أنه جمع بين وسيلتين متعارضتين، جرى على إحداهما الأفغانى، وارتقى الأخرى محمد عبده

.. كان الأفغانى يرى الإصلاح عن طريق الحكم، ويراه محمد عبده عن طريق التربية.. وقد استطاع حسن البنا أن يدمج الوسيلتين معا، وأن يأخذ بهما جميعا، كما أنه وصل إلى ما لم يصلوا إليه، وهو جمع صفوة المثقفين من الطبقات والثقافات المختلفة إلى مذهب موحد، وهدف محدد

ثم أخذت أتتبع خطوات الرجل بعد أن عدت من أمريكا وأنا مشغول به حتى أثير حوله غبار الشبهات حينا، مما انتهى

إلى اعتقال أنصاره ، وهي مرحلة كان من الضروري أن يمر بها اتباعه ، ثم استشهاده قبل أن يتم رسالته

وبالرغم من أنني كنت أسمع في القاهرة أن الرجل لم يعمل شيئا حتى الآن ، وأنه لم يزد على جمع مجموعات ضخمة من الشباب حوله ، غير أن معركة فلسطين ، ومعركة التحرير الأخيرة في القنال ، قد أثبتتا بوضوح أن الرجل صنع بطولات خارقة . . . قل أن تجد لها مثيلا ، إلا في تاريخ العهد الأول للدعوة الإسلامية

وقد تقرر أن الرجل كان بعيد الأثر في كثير من الأحداث العالمية التي وقعت في الشرق ، بل إن ما وقع في إيران كان خليقا أن يقع في كل بلدان الشرق ، لو طال عمر هذا الرجل . . وكان يمكن أن يتحقق لهذه البلاد الكثير لو اتفق حسن البنا وآية الله كاشاني على أن يزيلا الخلاف بين الشيعة وأهل السنة

لقد التقى الرجلان في الحجاز سنة ١٩٣٨ ، ويبدو أنهما تفاهما ووصلا إلى نقطة رئيسية لولا أن عوجل حسن البنا بالاغتيال

كل ما أستطيع أن أقوله في هذه القضية ، أن الرجل أفلت من غوائل المرأة والمال والجاه ، وهي المغريات الثلاث التي سلطها المستعمر على المجاهدين ، وقد فشلت كل المحاولات التي بذلت في سبيل إغرائه

وقد أعانه على ذلك صوفيته الصادقة ، وزهده الطبيعي ، فقد تزوج مبكرا ، وعاش فقيرا ، وجعل جاهه في ثقة أولئك الذين التفوا حوله ، وأمضى حياته القصيرة المريضة مجانبا لميادين الشهرة الكاذبة ، وأسباب الترف الرخيص

وكان يترقب الأحداث في صبر ويلقاها في هدوء ، ويتعرض لها في اطمئنان ، ويواجهها في جرأة

لقد شاءت الأقدار أن يرتبط تاريخ ولادته وتاريخ وفاته بحادثين من أضخم الأحداث في الشرق ، فقد ولد عام ١٩٠٦ وهو عام دنشواي ، ومات ١٩٤٩ ، وهو عام إسرائيل

وكان الرجل محبوبا في معاملة خصومه وأنصاره على السواء ، كان لا يهاجم خصومه ولا يصارعهم بقدر ما يحاول إقناعهم وكسبهم إلى صفه ، وكان يرى أن الصراع بين هيئتين لا يأتي بالنتائج المرجوة

وكان يؤمن بالخصومة الفكرية ، ولا يحولها إلى خصومة شخصية ، ولكنه مع ذلك لم يسلم من إيذاء معاصريه ومنافسيه ، فقد أعلنت عليه الأحزاب حربا عنيفة . .

كان الرجل يقتفي خطوات عمر وعلي ، ويصارع في مثل بيئة الحسين ، فمات مثلهم شهيدا

وإني على أتم يقين من أن أي حركة وطنية يمكن أن تظهر في الشرق بعد ذلك يمكن إرجاعها إلى المقاييس التي وضعها هذا الرائد العملاق

ولا يستبعد أن تؤرخ به الحوادث بعد قليل . .

لقد سمعت الكثير من خصومه ، وكان هذا طبيعيا ، بل كان من الضروري أن يختلف الناس في رجل استطاع أن يجمع حوله هذا الحشد الضخم من الناس بسحر حديثه وجمال منطقه ، وقد انصرف هؤلاء من حول الأحزاب والجماعات والفرق الصوفية والقهوات ودور اللهو

وكان لابد أن يصبح هذا مثار حقد بعض الناس الذين أدهشهم أن يستطيع هذا الرجل المتجرد الفقير أن يجمع إليه مثل هذا الشباب

ومن الأمور التي لفتت نظري أنه أخذ من عمر خصلة من أبرز خصاله ، تلك هي إبعاد الأهل عن مقاعد الدعوة ، فقد ظل عبد الرحمن ومحمد وعبد الباسط ، وهم إخوته بعيدين من كبريات المناصب ، وطالما كان يحاسبهم ، كما كان عمر يحاسب أهله ويضاعف لهم العقوبة إذا قصروا

وقد أتيح لي أن ألتقي بوالده الوقور ، الشيخ عبد الرحمن البنا ، وسمعته يتحدث مع بعض الإخوان . إنه كان يتمنى لو أن ابنه وضع الكتب في أمر الإسلام واكتفى بذلك ؛ وقد رد عليه الأستاذ البنا بأنه منشرح الصدر لمعالجة الإسلام عن طريق إنشاء الجماعات وتأليف الرجال

السكلام صلة

أنور الجندي